الأب بيتر مدروس
دكتور في العلوم البيبليّة

مقدّمة

ينتمي إنجيل الطفولة العربيّ إلى مجموعة أناجيل الطفولة المنحولة التي تروي أحداثًا ومعجزات معظمها أسطوريّة تدّعي أنّ يسوع قام بها في أثناء طفولته، في بداية حياته العلنيّة. تبغي تلك الكتابات أن تعوّض، من جهة، عن اقتضاب الأناجيل القانونيّة، لتشفي فضوليّة الشعب المسيحيّ وتقواه، أن تبيّن، من جهة أخرى، [١] ألوهيّة السيّد المسيح المُختبئة في طفولته.

الأناجيل المنحولة التي تتناول هذا الموضوع وهذه الفترة هي: **إنجيل توما المنحول**، القسم الثاني من **إنجيل متّى المنحول**، والصيغ المتعدّدة **لإنجيل الطفولة العربيّ**. ويضمّ بعض الكتّاب إلى هذه المجموعة **قصّة يوسف النجّار**. ولكن يلحظ المرء أنّ فيها فقرات قصيرة عن يسوع.

"ليس إنجيل الطفولة العربيّ سابقًا على الأرجح للقرن السادس الميلاديّ. جزؤه الأوّل يستند إلى **إنجيل يعقوب التمهيديّ**، وجزؤه الأخير إلى **إنجيل توما المنحول** (لا الغنوصيّ) . يتضمّن القسم الأوسط قصصًا عدّة من أساطير شرقيّة مثيرة في البعض منها، أمّا مسرحها فهو مصر، لغته الأساسيّة سريانيّة، ومنها نُقل إلى العربيّة في ثلاث روايات"[٢].

معظم ما سيرد هنا مقتبس من بحث الأب ماريو بروفيرا السالسيّ (Mario Provera)[٣]. وسيستشهد هذا البحث بأرقام جُمَل هذا "الإنجيل" (لا التقسيم بفصول وجُمَل).

لا يقتصر **إنجيل الطفولة العربيّ** على فترة الطفولة، بل يسرد روايات تسبقها وتلحقها، روايات مأخوذة من **إنجيل يعقوب المنحول**.

وتحوي النسخة السريانيّة ومخطوط المكتبة اللورنسيانا ملحقًا على حياة الربّ العلنيّة، وهو مختصر لأعظم الأحداث شأنًا من معموديّة يسوع إلى الآلام والموت والقيامة والعنصرة.

كان **إنجيل الطفولة العربيّ** معروفًا في أوّل الأمر عن طريق مخطوط "سيكه" (Sike) المُكتشَف في تركيا. يعود المخطوط إلى فترة متأخّرة، وليس محفوظًا بشكل جيّد. أمّا كرافيري (Craveri) فيكتب أنّه استخدم أيضًا مخطوط اللورنسيانا، ولكنّ بعض العبارات ليست واضحة.

أصل إنجيل الطفولة العربيّ

ما استخدم معظم الباحثين إلاّ مخطوط "سيكه" . ويبدو

(١) *I Vangeli Apocrifi* , Torino, 1969, pp. 145- 146.
(٢) **الاناجيل المنحولة**، ترجمة إسكندر شديد، نسبيه– غوسطا، ١٩٩٩، ص ٤٩.
(٣) M. PROVERA, *Il Vangelo Arabo dell'Infanzia* , fpp, Gerusalemme 1973.

أنّ وضعه الحاليّ لا يتطابق مع الأصليّ، بل زيد عليه الكثير بقلم كتّاب لاحقين متعدّدين، كانوا، بسبب أهوائهم أو احترامًا لتقاليد شعبيّة محليّة، يضيفون أمورًا جديدة[٤]؛ ويشهد مخطوط اللورنسيانا لتلك الحقبات المُتتالية في الكتابة[٥].

ويرى المرء في مخطوط "سيكه" عناصر متفرّقة، مثل معجزات العذراء.

يبدو أنّ **إنجيل الطفولة العربيّ** تعريب غير موفّق ومُستفيض لأصل سريانيّ أكثر قِدَمًا، كما كتب العالِم تيشندورف في مقدّمته لطبعة الأناجيل المنحولة. ويثبت ذلك بأنّ النصّ يتبع التقويم السريانيّ، ويخلط بين الحَبْر قيافا والمؤرّخ فلافيوس يوسيفوس، وهو خلط تميّز به السريان (!) وبعض الروايات التي يجدها المرء فقط في كتابات بعض الأساقفة النسطوريّين[٦].

يُثبت مخطوط اللورنسيانا الأصل السريانيّ **لإنجيل الطفولة العربيّ**؛ ففي مقدّمة الكتاب يُذكَر اسم الأسقف يشوع بن نون، أي إيشوعداد المروزيّ، أسقف "حداثا" النسطوريّ[٧].

وحافظ المُعرّب على عدد من الأسماء والعبارات السريانيّة، مثلاً الرسول توما مدعوّ "تآما"، مثل السريانيّة[٨]، وسمعان القانونيّ مسمّى "قينيا" واللفظة مرتبطة بـ "قينو" أي "عش". وكلمة "شليح" أو "سلِّيح" (من السريانيّة "شليحو) تشير إلى "الرسول" أو "الرسل"[٩]. كما أنّ مسار النصّ العربيّ يتبع عن كثب المخطوطات السريانيّة القريبة من الأصل، والتي نشرها بادج (W. Budge)، والأخرى السريانيّة التي نشرتها "الجمعيّة الآسيويّة" في لندن[١٠].

يرى "بيترز" (Peeters) أنّ النواة الأصليّة **لإنجيل الطفولة العربيّ** ترقى إلى ما قبل القرن الخامس، وبعدها أتت الزيادات[١١].

أمّا المخطوط الفاتيكانيّ فهو متأخّر (١٦٢٢ أو ١٦٢٣) لأنّه يتبع مخطوطة "سيكه" بشكل عامّ.

يبدو أنّ **إنجيل توما المنحول** كان النواة الأصليّة **لإنجيل الطفولة العربيّ**. ويجد المرء أثرًا **لإنجيل متّى المنحول** في روايات تقديم يسوع إلى الهيكل والهروب إلى مصر.

وهنالك مُعطيات مأخوذة من **إنجيل نيقوديموس** في الملحق حول حياة يسوع العلنيّة، وبالذات في رواية القيامة وسرد خلافات اليهود حولها.

القسم الأصليّ للكتاب

يرى الباحثون ذوو الإلمام أنّ أصل الكتاب هو الفصول الحادي عشر حتّى الحادي والأربعين من مخطوطة "سيكه"، أو الفصول العاشر إلى الأربعين من مخطوط اللورنسيانا؛ فالمعجزات التي يسردونها ليست مُقتبَسة من كتابات منحولة سابقة بل من تقاليد محليّة. ويبدو أنّ تجميع كلّ تلك العناصر تمّ بعد القرن الخامس. لاحقًا انتقل النصّ إلى الترجمة الأرمنيّة ثمّ العربيّة.

من صفات إنجيل الطفولة العربيّ

لا يدّعي أنّه ملهم موحى به، بل يصف نفسه بأنّه "قصّة" أو "كتاب معجزات سيّدنا يسوع المسيح". ولا يدقّق

(٤) M. PROVERA, *op. cit.*, pp. 19 ss.
(٥) بسبب الملحق عن حياة يسوع العلنيّة.
(٦) TISCHENDORF, *Evangelia Apocrypha* , Leipzig ²1876, pp. XLVIII – XLIX.
(٧) M. Dunlop GIBSON, "The Commentaries of Isho'dad of Merv", *Horae Semiticae* 5 (1911), pp. 19-20.
(٨) TISCHENDORF, *op. cit.*, c. XXVIII, 2.
(٩) Id., *ibid, c. XLI, 2.*
(١٠) اكتشف بادج النصّ السريانيّ **لإنجيل الطفولة العربيّ** في مخطوط بقرب الموصل سنة ١٨٩٠، يعود إلى القرن الثالث عشر أو الرابع عشر.
(١١) M. PROVERA, *op. cit., 20 - 21*

الكاتب في صحّة التقاليد الشعبيّة المحلّيّة التي ينقلها [١٢]. ويميّز الكاتب قصّته عن الأناجيل القانونيّة التي يستشهد بها بوقار [١٣]. وسيلحظ المرء لاحقًا في هذا البحث، عند تحليل النّصّ، إيراده للعديد من التفاصيل التي قد يخجل منها الإنسان، والتي لا ترد البتّة في الأناجيل القانونيّة!

مخطوطة مكتبة اللورنسيانا

سيتبع هذا المقال نصّ المخطوط الشرقيّ رقم ٣٨٧ المحفوظ في مكتبة لورنسيانا، في مدينة فلورنسا (إيطاليا) والمكوّن من ٤٨ ورقة. نُسخ المخطوط في مدينة ماردين المنتمية اليوم إلى إقليم كردستان. في العصور الوسطى كانت تلك المدينة مزدهرة كمركز أدبيّ وتجاريّ، وانتقلت من مقرّ النسطوريّين إلى اليعاقبة منذ القرن الثاني عشر. وأصبحت مقرًّا بطريركيًّا. اسم النَسّاخ إسحق بن أبي الفَرَج بن القسّيس المتطبّب [١٤].

كُتب المخطوط سنة ١٦١٠ من التقويم السريانيّ، أي سنة ١٢٩٩ للحساب الميلاديّ.

في الهوامش ترد كلمات أو أحرف من النصّ نسيها النسّاخ.

تحوي الورقة الأخيرة تثليثًا للتقديس "قدّوس الله" مونوفيزيّ الطابع.

يصاحب النصّ ٥٤ رسمًا .

عن مخطوط اللورنسيانا يكتب "ثيلو" (Thilo): "يبدو أنّ هذه هي أقدم مخطوطة من كلّ التي نعرفها" [١٥]. ومع أنّ "بيترز" يشكّ في قِدَم المخطوط، غير أنّه يرى أنّه جدير بكلّ عناية [١٦].

لغة مخطوط اللورنسيانا

إنّها لغة عربيّة وسيطة بين السليمة ("الفصحى") والعامّيّة كما كان يتحدّث بها أهل غرب العراق في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. يقع الكتّاب أو النسّاخون في أخطاء لغويّة وإملائيّة، ولا يتبعون قاعدة ثابتة في النقاط أو الشّكل (أي وضع الحركات). وهنالك جُمَل صعبة الفهم لأنّها منقولة عن السريانيّة بشكل غير موفّق.

لاهوت المسيح في مخطوطة اللورنسيانا

يطابق لاهوت المخطوطة معطيات العهد الجديد والتقليد الشريف [١٧]، مع أنّ فيها ميزات الكتابات المنحولة من إسهاب وشغف بالمعجزات غير المعقولة والأمور الصبيانيّة وتفاصيل "مُحرجة" مُخجلة أحيانًا. يشدّد الكاتب على ألوهيّة المسيح، مع أنّ شخصيّة السيّدة العذراء تبدو أيضًا الرئيسيّة. بالفعل، فيشوع يتكلّم عندما كان في المهد صبيًّا. ولاحقًا عندما تهرب الأسرة المقدّسة إلى مصر تتحطّم الآلهة في هياكلها. وأجاب صنم مفسّرًا الارتجاج الذي تمّ بوصول يشوع: "إنّ ها هنا إلهًا خفيًّا وله ابن مثله خفيّ عنده، وباجتيازه في هذه الأرض تزعزعت وارتجّت، ومن عظيم نوره سقطت الآلهة" (رقم ٥٥–٥٨). وعندما يصنع الطفل يسوع طيورًا من طين وتطير يستنتج رفاقه الأولاد: "أنت إذن ابن الخالق" (رقم ٢٤٨). وتظهر هذه البنوّة في مشهد معموديّة يشوع أيضًا، حيث يدعوه يوحنّا "يا سيّدي" (رقم ٣٠٩).

ولقب "السيّد المسيح" (وهو مقابل الـ"كيريوس" في اليونانيّة، و"موريو" في السريانيّة) دليل على ألوهيّة يسوع (رقم ١٧).

(١٢) K. ALAND, "The problem of anonymity and pseudonymity in the Christian literature of the first two centuries", *Journal of Theological Studies,* (1961) 31.

(١٣) M. PROVERA, *op. cit.*, p. 25.

(١٤) المرجع نفسه، ص ٢٦ – ٢٧.

(١٥) *Codex apocryphus Novi Testamenti*, I, Leipzig 1832, p. XXXI.

(١٦) *Évangiles Apocryphes* II : *L'Évangile de l'Enfance. Rédactions syriaques, arabes et arméniennes* traduites et annotées, Paris 1914, p. VIII.

(١٧) بروفرا، المرجع نفسه، ص ٤٠ي.

وتبدو إنسانيّة يسوع في عناصر كثيرة منها الحَمْل به كإنسان طبعًا، ورضاعته من العذراء التي قمّطته وأضجعته في معلف (رقم ١٥–١٦)، وختانه (رقم ٣١ي). وفي كلّ رواية تقريبًا إشارة إلى ناسوت المسيح، خصوصًا في الآلام والصلب، حتّى في نبوّة زردشت (رقم ٤).

التأثير النسطوريّ على مخطوطة اللورنسيانا

أوّل عنصر هو – كما أسلفنا – ذِكر الأسقف ايشوعداد النسطوريّ، ثمّ الخلط بين يوسيفوس فلافيوس وألحبر قيافا (كما عند بعض الكتّاب النسطوريّين، مثل جورجس وردا وسليمان من البصرة) [١٨]، وطريقة تحيّة السيّدة العذراء سريانيّة لا عربيّة [١٩]، واسم يسوع هو بحرف الشين يشوع حسب السريانيّة.

تحليل النصّ

يبدأ بعبارة "بسم الله الرحمن الرحيم" : يعتقد بروفيرا أنّ القرآن هو الذي أثّر على هذا النصّ [٢٠].

– نبوّة "زردشت" المجوسيّ – الذي يضعه الكاتب في عهد موسى... – إنّ عذراء ستحمل من غير رجُل، ويَصلب اليهود ابنها، ويُبعَث من بين الأموات (رقم ٢ي)، تأتي كإطار أو سبب لزيارة المجوس.

– لا دليل على مثل هذه النبوّة في الكتابات المجوسيّة.

– رقم ٦ي: يتبع الكاتب إنجيل لوقا ويؤرّخ الإحصاء (الاكتتاب) منذ الإسكندر (٣٠٤ سنوات). العذراء تعبس وتبتسم في نفس الوقت: تعبس لأنّ اليهود المبصرين أصبحوا عميانًا، والشعوب التي في الظلمة والعَمى صارت بصيرة.

– رقم ١١ : "القرية" إشارة إلى بيت لحم، ربّما بتأثير من السريانيّة مَـحْـزا. – "المغارة" : يبدو أنّ القدّيس يوستينوس النابلسيّ أوّل من ذَكَر المغارة – التي يحويها ضمنًا نصّ إنجيل لوقا الذي يذكر "المذود" (هنا: "المعلف") ثلاث مرّات في فصله الثاني.

– رقم ١٦–١٩: تراءت الأجناد السماويّة، فأشبهت المغارةُ البيعةَ العلويّة (أي الكنيسة السماويّة)، لأنّ الأفواه السماويّة والألسنة الأرضيّة كانت تمجّد وتعظّم ميلاد السيّد المسيح. هذا صدى لنصّ فيليبّي ٢ : ١٠ تحقيقًا لنبوة أشعيا ٤٥ : ٢٣، ثمّ لرومية ١٤ : ١١.

– رقم ٢٤: بعض الناس زعموا أنّ المجوس كانوا ثلاثة على عدد القرابين أي الهدايا (أو اثنا عشر أو عشرة ومعهم ألف ومئتا رجُل!). وهديّة المجوس فرس.

– رقم ٢٨–٣٢ : أعطت السيّدة العذراء من قماط يشوع، وأخذه المجوس إلى بلادهم ورموه في النار ولكنّها ما حرقته، فراحوا يكرمونه ويقبّلونه، وادّخروه عندهم بالكرامة الجليلة.

– رقم ٣٣: تأخذ العجوز القابلةُ العبريّةُ جلدةَ ختانِ يشوعَ وتسلّمها لابنها سائلة أن يضعها في قارورة دهن الناردين الفايق (أي الفائق)، فلا يبيعها حتّى لو قُدّمت له ثلاثمائة دينار (مثل سعر الناردين الذي سكبته امرأة على يسوع حسب ما قدّر يهوذا الإسخريوطيّ).

– رقم ٤٤: حنّة النبيّة تمجّد الله وتعطي الطّوبى لمريم! هذا ما علينا أن نفعل كمسيحيّين!

– رقم ٤٩ : أصبح يوسف (والأسرة) بقرب قرية فيها جنّيّ طاغ، أي أحد الشياطين الظالمين، كان يسكن في صنم من أوثان مصر.

– رقم ٥٠ : كان بحضرته "إمام" : كلمة من تأثير إسلاميّ تشير إلى رجُل دين.

(١٨) المرجع السابق، ص ٤٧ي.

(١٩) THILO, *op. cit.*, XXXV, nr. 25.

(٢٠) بروفرا، المرجع نفسه، ص ٣٥، ويرى أنّ لا مانع عند المسيحيّين من استخدام تلك العبارة، في حين أنّ آخرين يظنّون أنّ خلاف ذلك هو الصحيح.

– رقم ٥٣ : البيمارستان : المَضافة أو النُزُل أو الفندق.

رقم ٥٤ : كاهن، كهنة الأوثان هي هنا : سادن، سدنة.

– رقم ٥٩ : الإله الخفيّ المخفيّ، قد يذكّر بالإله المجهول الذي عمل له الأثينيّون حسابًا وبشّرهم به القدّيس بولس .

– رقم ٦٨–٧٢: تخاف السيّدة العذراء والقدّيس يوسف من عواقب تحطيم أصنام المصريّين، فهربَا مع الطفل يسوع. ومرّت الأسرة المقدّسة بقرب لصوص، فسمع اللصوص "ضجيجًا كأنّه جلبة ملك قد ورد مدينته ومعه خيول وطبول"، فجزعوا وتركوا كلّ ما سلبوه.

يلحظ المرء تشديد هذا "الإنجيل" على ملكيّة يسوع.

– رقم ٧٣: عندما سأل المصريّون السيّدة العذراء والقديّس يوسف، "أين الملك الذي سبّب كلّ تلك الجلبة؟"، أجابَا (من باب الخوف، لئلاّ يحصل في مصر كما حصل مع هيرودس الناوي قتل الطفل يسوع): "سوف يأتي بعدنا"!

– رقم ٧٣ي: امرأة مجنونة تقيم في المدافن وتحطّم السلاسل: محاكاة لنصّ الإنجيل المقدّس عن الممسوس ساكن القبور في بقعة الجراسيّين (مر ٥ : ١ي).

– رقم ٧٥: رأتها مريم ورحمتها! دور السيّدة العذراء سامي المقام مثير للاهتمام، وخصوصًا عبارة أنّها "رحمت" تلك المرأة.

– رقم ٧٦: (مضى الشيطان) كالرجُل الشاب : يظهر إبليس بمظهر شاب. وقال :"ويلاه منك ومن ابنك يا مريم"؛ فالعذراء بعد ابنها موضع فزع الشياطين وسائر قوى الشرّ بما أنّها المرأة التي سحق نسلُها رأس الحيّة (عن تك ٣ : ١٥).

– رقم ٧٩: في قرية أخرى يُخرس الشيطان عروسًا رأت الطفل يسوع وحضنته وقبّلته. "فتصاعدت رائحة جسمه، وانحلّ عقال لسانها وصمَم أذنيها... وظنّ (أهل العرس) أنّ الله مع ملائكته (إعلان ألوهيّة المسيح) قد نزل عليهم". قد يجد المرء هنا صدى لمعجزة يسوع مع الأبكم الأصمّ (مر ٧ : ٣١ي).

– رقم ٨٣: امرأة يمسّها الشيطان، ويظهر لها بصورة حيّة، ويجامعها بذَنَبه (!)ترى الطفل يسوع، وتطلب من السيّدة العذراء أن تحمله وتقبّله. وبعدما تفعل، يهرب الشيطان.

– رقم ٨٩: صبيّة برصاء عمدت إلى الماء الذي غسلت به المرأة الممسوسة سابقًا الطفل يسوع، فبرأت الصبيّة. وقال القوم إنّ يشوع ومريم ويوسف آلهة لا بشر.

– رقم ٩٠ي: امرأة قائد جليل أنجبت له ولدًا أبرص، فهدّد بتركها. تقول لها الصبيّة (التي بنفسها برئت من برص، رقم ٩٥) . يُغسَل الطفل يسوع بماء، وبعده الصبيّ الأبرص، فيطهر.

– رقم ١٠٢: تطوّب زوجةُ القائد "والدَي يسوع". تهنئة مؤثّرة لا نجدها في الأناجيل.

– رقم ١٠٢ي: تبيت الأسرة المقدّسة عند "عريس مربوط من زوجته" (بسبب سِحر)، فينحلّ رباطه.

– رقم ١٠٦ي: ثلاث شقيقات كان لهنّ شقيق همّ بالزواج، فتغايرت عليه النسوة وسحرنه وحُوِّل إلى بغل. توصي الصبيّة البرصاء السابقة الشقيقات أن يذهبنَ إلى مريم، فيذهبن ويقلن للعذراء : "يا ستّنا (لهجة عاميّة) مريم! إرحمي إماك (أي إماءك)... وهذا البغل كان أخانا!". يركب يسوع ظَهْرَ البغل فيجعله إنسانًا. وسجد لمريم مع أمّه وأخيه (أي أخواته)".

– رقم ١٣٠–١٣١: "طوبى لوالدتك يا يشوع" (صدى للتطويبة التي نقرأها في لو ١١ : ٢٧ : "طوبى للبطن الذي حملك")، و"طوبى للعيون التي تلتذّ بالنّظر إليك"– تطويبة جميلة تذكّرنا بقول الربّ يسوع في مت ١٣ : ١٧: "الحقّ أقول لكم: إنّ كثيرًا من الأنبياء والصدّيقين تمنّوا أن يروا ما تبصرون فلم يروا، وأن يسمعوا ما تسمعون، فلم يسمعوا".

– رقم ١٤٢ي: تسير الأسرة المقدّسة في أرض قفر فيها لصّان نائمان كان مفروضًا أن يحرسَا باقي اللصوص. وعندما

استيقظَا ورأيَا الأسرة المقدّسة قال أحدهما، هو طيطوس، للآخر، وهو دوماحوس: "أسألك أن ترشدهم السبيل ليمضوا ولا يشعر بهم أصحابنا". فأبى دوماحوس، ودفع طيطوس له أربعين درهمًا (أمّا تقدير العبرانيّين ليسوع وثمن خيانة يهوذا له فكان ثلاثين من الفضة) وكمَرين (أي حزامَين)، فدعت السيّدة العذراء لطيطوس: "ليلحظك (لتلحظك) رحمة الربّ إلهنا، ويمنحك المغفرة من خطاياك". "هذان هما اللذان صُلبَا مع يشوع عن يمينه وعن شماله".

معروف أنّ التقاليد والحكايات حول اللصّين كثيرة ومتعدّدة، وكذلك التفنّن في تسميتهما.

– رقم ١٥٣: يوصف السيّد المسيح، الطفل المليك، بأنّه "صاحب البلاد"؛ فهيرودس وأركيلاوس المتحكّمان به هما في الواقع زعيمان مزيّفان، أمّا الملك الحقيقيّ فهو يسوع. ويذكر المرء هنا أنتيفونة تنشدها الليتورجيّا اللاتينيّة عشيّة الميلاد المجيد :"لقد تعظّم ملك السلام الذي تشتهي الأرض كلّها رؤية وجهه".

– رقم ١٥٤: كان لامرأة ابن "ممرض" أي مريض. جاءت إلى مريم البتول ووجدتها تسبّح ابنها (يشوع) في الماء. سبّحت المرأة ابنها في ذلك الماء وتعافى.

– رقم ١٦٠: امرأة أخرى عُميت عينَا ابنها وتألّم من صداع شديد. ومضت وأخذت الماء الذي يسبّح فيه يشوع الطفل، فعوفي ابنها.

– كلّ تلك المعجزات قد تُشير أيضًا إلى المعموديّة.

رقم ١٦٥: تنهج السيّدة العذراء سياسة "السرّ المشيحانيّ" التي سينهجها الربّ يسوع المسيح لاحقًا: "إيّاك أن تُطلِع(ي) أحدًا !"، مع أنّ المعجزات ما تمّت في الخفاء ولا كانت قليلة.

– رقم ١٦٥: كانت هناك امرأتان لرجُل واحد: إشارة إلى واقع تعدّد الزوجات الذي ما أجازته التوراة قَطّ، ولكنّ التلمود البابليّ تقبّله وأعطى احتمال خمس زوجات لليهوديّ الواحد، وأقصى حدّ ثماني عشرة، أسوةً بداود الملك[٢١].

– رقم ١٦٦: شُفيَ طفل إحدى الزوجتين (المدعوّ قليوفا) بعد أن ذهبت أمّه إلى مريم العذراء وتوسّلت إليها بطلبها منها أحد أقمطة يسوع الذي حوّلته إلى قميص لبسه ابنها فتعافى. أمّا ابن "ضرّتها" (الكلمة من تأثير عربيّ إسلاميّ) فقد مات إذ لم تستجر أمّه بالعذراء. تأجّجت الغيرة في قلب المرأة (الضّرّة – و"الضّرة مُرّة ولو كانت عسلاً في الجرّة"!)، وغافلت أمّ قليوفا ورمت به في التنّور، ولكنّه بقي فيه سالمًا غانمًا بمعجزة.

– رقم ١٧٧: في وقت لاحق، طرحت الضرّة قليوفا في "بير" أي بئر، ولكنّ قوم البئر رأوه بعد ذلك جالسًا فوق الماء، فأخرجوه سليمًا .

كلّ هذه المعجزات وغيرها تؤكّد شفاعة السيّدة مريم البتول والإيمان الوطيد العريق بهذه الوجاهة الوالديّة لدى المسيح الابن المُحبّ المحبوب.

– رقم ١٨١: شكت أمّ قليوفا ضرّتها إلى العذراء التي أجابتها : "أسكتي، فإنّ الله سينتقم لكِ منها". ثمّ جاءت الضرّة لتملأ الماء من "البير" (البئر)، فعلقت الحبال برجلَيها، فأخروجها وقد تطحّن رأسها وتكسّرت عظامها وماتت، فتمّ قول القايل، أي "القائل" (وهو صاحب المزامير): "حفروا حفرة وعمّقوها، فوقعوا في الهوّة التي عملوها" (مز ٧ : ١٦ في صيغة المفرد).

تأنف تقوانا وذوقنا السليم وحسّنا المسيحيّ القويم أن نقبل على لسان العذراء وفي قلبها انتقامًا أو تأييدًا للانتقام،

(٢١) رج **التلمود البابليّ**، طبعة سونتشينو، سنهدرين ٢١، وشهادة فلافيوس يوسيفوس، **العاديات اليهوديّة** ١٧، الجزء الأوّل، الفقرة الثانية؛ القدّيس يوستينوس النابلسيّ الشهيد في **الحوار مع تريفون اليهوديّ**، رقم ١٣٤، وأيضًا بشكل عامّ **التلمود البابليّ**، كتيّب "كتوبوت"، أي "عقود الزواج"، وتشبهها العبارة العربيّة الإسلاميّة "كُتْب الكتاب".

(٢٢) المرجع نفسه، ص ٣٥–٣٦.

وإن كانت العزّة الإلهيّة تُعاقب البشر أحيانًا في هذه الدنيا، على خطاياهم.

١٨٥ – إمرأة لها ابنان توأمان، مات الأوّل، وقارب الآخر على الموت، فحملته أمّه وأتت إلى مريم العذراء وبكت بمرارة، فقالت لها البتول: "ضعي ولدك في سرير يشوع"، فشفي في الحال، وهذا هو توما الرسول (حسب التسمية السريانيّة الشرقيّة "تآما"، أي "التوأم").

١٩٦– أتت امرأة برصاء إلى مريم العذراء؛ ولـمّا صعد يشوع من الماء قالت العذراء: "خذي الماء وافضيه (أي صبّيه) عليك"؛ ولـمّا فعلت طهرت وسبّحت الله.

١٩٩– وهذه المرأة ابنة قايد (قائد)، بعد أن تعافت، زُفّت إلى ابن قايد آخر، فرأى آثار البرص بين عينيها فبطلت الزوجيّة. وعادت إلى العذراء مريم واغتسلت بالماء، بعد أن سبّحت البتول ابنها بشوع، فشفيت (العروس) وعادت إلى بيتها مسرورة؛ ولـمّا بلغ زوجها خبرها اصطنع عرسًا وأخذها.

ملحوظة: يمكن أن يرى المرء في كلّ هذه المعجزات إشارات إلى المعموديّة التي تطهّر وتشفي وتغسل؛ وكما أسلفنا، شفاعة السيّدة العذراء طبيعيّة بما أنّ الفتيات والنساء ولا سيّما الوالدات يلجأنَ إليها، فهي القادرة على تفهّمهنّ وإسعافهنّ.

٢١٣– صبيّة يتظاهر لها الشيطان على شكل تنّين، وكانت كلّما رأته تولول وتقول: "أليس فيكم من يخلّصني من هذا القاتل؟".

*** يلحظ المرء فعل "يخلّصني"، والربّ يشوع هو "المخلّص"، "يهوشواع"، واسمه على جسمه!

"سمعتها ابنة القايد المطهَّرة من البرص، وقالت لأمّها: "إحفظي عنّي هذا السرّ واكتميه. إحملي ابنتك إلى بيت لحم يهوذا، قرية داوود، إلى مريم أمّ يشوع، واكشفي حالك، وسوف تبرأ ابنتك". ومضت المرأة وابنتها إلى العذراء التي أعطتها غسالة جسم يشوع لتغسل به جسم الصبيّة، وأعطتها أحد قمط يشوع وقالت: "أيّ وقت رأيتِ عدوّك، تردّي بهذا القماط".

"وأثناء العودة إلى القرية، أتى التنّين ورأى من القماط الموضوع على رأس الصبيّة سهام نار يُصيبه على رأسه وعينيه، فصاح التنّين: "الويل لي منك، يا يشوع بن مريم"، ثمّ هرب. وما رأته الصبيّة بعدها وسبّحت الله".

*** هذه الروايات تثبت بشكل شعبيّ، وإن لم يكن دقيقًا تاريخيًّا، العقيدة الراسخة والتفسير المسيحيّ "المريميّ" لنصّ سِفر التكوين ٣ : ١٥، بمعنى أنّ نسل العذراء مريم هو الذي يسحق رأس الحيّة، إنطلاقًا من الكلمة الإلهيّة للأفعى القديمة: "سأجعل عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلكِ ونسلها، فهو يسحق رأسك، وأنت ترصدين عقبه".

٢٣٥– "ولـمّا صار يشوع ثلاث سنين، كانت امرأة ولها ابن اسمه يهوذا مُمتَحنًا من الشيطان. سمعت أمّه بخبر يشوع ومَن عوفي على يديه، فحملت ابنها إلى يشوع، وخرج ذلك الشيطان من يهوذا. وهذا هو يهوذا الإسخريوطيّ الذي أسلم يشوع للموت".

٢٤٥–لـمّا صار يشوع سبع سنين كان يعمل مع أترابه أشباه دواب وحمير وبقر من طين. وقال يشوع: "إنّ التماثيل التي أصنعها، متى آمرها بالمسير سارت". وقال له الصبيان: "أنت إذن ابن الخالق". وأمر يشوع الدواب بالمشي، فسارت؛ وأمرها بالعودة، فعادت. وكان يعمل العصافير، ويأمرها بالطيران، فتطير. وقال الناس إنّه ساحر، فاجتنبوه".

*** التأويل السّلبيّ لمعجزات يسوع الفتى – أي نسبها إلى السّحر– يشبه كثيرًا موقف التلمود (سنهدرين ٤٣ أ): "عشيّة عيد الفصح عُلّق يشو لأنّه كان يغوي إسرايل بالسّحر". هل كان كاتب "إنجيل الطفولة العربيّ" على علم بالافتراءات الرّابّينيّة؟

٢٥٤– "بينما يشوع يمشي في المدينة مع أترابه الصبيان، اجتاز بحانوت رجل صبّاغ، وصبغ كلّ الثياب بلون دن النيل. كان الصبّاغ يريد أن يصبغ كلّ واحد منها لونًا

منفردًا، وصبغ يشوع كلّ ثوب باللون الذي يريده الصبّاغ. حينما شاهد اليهود هذه الأعجوبة سبّحوا الله".

٢٦٠- "قال الناس: يقول قيافا إنّ يشوع تكلّم وهو في المهد صبيًّا؛ وحين كان له سنة واحدة قال لأمّه: "يا مريم، أنا يشوع ابن الله الذي ولدتني، كما بشّرك جبريل الملَك، وأبي أرسلني لخلاص العالم".

ملحوظة: يجد المرء هنا مثالاً على الأصل السريانيّ للنصّ، بما أنّ الكاتب يخلط بين قيافا وفلافيوس يوسيفوس، وهو خطأ شائع عند سريان القرون الأولى. ولكن، من جهة أخرى، لا ذِكر في كتابات يوسيفوس عن معجزات يسوع الطفل، ولا سيّما كلامه في المهد.

٢٦٢- "كان يشوع يساعد يوسف النجّار في أعمال النجارة".

*** كان يكفي يشوع أن يمدّ يده على أعمال القدّيس يوسف الخشبيّة للتطويل أو التقصير أو التوسيع أو التضييق...

"واستحضر ملِك أورشليم يوسف وقال له: "أريد سريرًا بقدر الموضع الذي أجلس فيه"، والمقصود عرش.

وأكمل يوسف عمله بعد سنتين، لكنّ الأسرّة كانت تنقص من كلّ جانب شبران. وحزن يوسف وخشي عقاب الملِك، "وبات يوسف طاويًا"، أي من غير طعام.

"وأصلح يشوع ما قد فسد. وعجب الحاضرون وسبّحوا الله".

*** لازمة "رأوا وسبّحوا الله" خاتمة سعيدة لمعاناة وبداية لتمجيد الخالق عن طريق يسوع، وفي السياق يتّضح أنّ يسوع نفسه هو الربّ والخالق الحميد الخليق بالتسبيح!

*** الخيال الواسع والمبالغة الخياليّة لا تتردّدان في وصف "خشب تلك الاسرّة" (جمع سرير) بأنّه كان من عهد سليمان بن داود! ولكن في زمن السيّد المسيح لم يكن هنالك أيّ "ملك لليهود"، خصوصًا بعد وفاة هيرودس الكبير (سنة ٤ قبل الحساب الميلاديّ)، وما حظي أيّ من أبنائه ولا أحفاده بذلك اللقب.

٢٧٢ وتابع: مضى يشوع في إثر صبيّة، بعد أن كانوا يلعبون ثم دخلوا دارًا. وسأل يشوع نسوة عن أولئك الصبيان، فأجبنَ: "لم يج (أي يجيء) إلى هنا صبية. فسألهنّ يشوع: "هؤلاء الذَين في الآتون ما هم ؟"؛ قالت النسوة: "جدي ثنيان". وقال يشوع للجديان: "أخرجنَ إلى راعيكنّ"، فخرجنَ يركضنَ حوله. فلمّا شاهد النسوة ذلك، سارعنَ بالسجود ليشوع ويقلنَ: "يا يشوع ابن مريم، أنت الراعي الصالح لإسرايل، فإنّك للشفاء وردتَ لا للإبادة". وانقلب الجديان إلى صورة الصبيان ومضوا مع يشوع.

*** يشوع هو الربّ بما أنّه "راعي إسرايل"، كما يخاطبه صاحب المزامير ٨٠ (٧٩): ٢: "يا راعي إسرائيل، كن سميعًا، يا هادي يوسف، كما تَهدي القطيع، يا من على الكاروبيم استوى...". وهو الرّبّ "عزيز يعقوب... صخرة إسرائيل" (عن تك ٤٩: ٢٤ حسب النقل اليونانيّ). والمسيح هو "الراعي الصالح" الذي يجمع رعاياه ويحفظ قطيعه (رج إر ٢٣: ١؛ ٣١: ١٠؛ زك ١١: ٥)، بخلاف رعاة بشريّين أشرار يبدّدون رعيّة الربّ (حز ٣٤: ٨، ١٠)، أي الربّ حسب مفاهيم العهد القديم (زك ٩: ١٦)، وانطلاقًا من يو ١٠: ١١، ١٤؛ فيسوع هو فعلاً "راعي الرعاة" (رج ١ بط ٥: ٤).

*** هنالك نقد "إنجيليّ" للشعب اليهوديّ الّذي يمسك كالسودان (أي الناس ذوو البشرة السوداء، ولعلّهم كانوا من العبيد) الذين يمسكون الجانب الطارف من "الغيم"، أي الغنم.

*** يبدو أيضًا من هذه المعجزة المزدوجة أنّ النسوة سحرنَ الصبيان وحوّلنهنَّ إلى جديان! لا يورد النصّ أيّ تبرير لتلك الفعلة -وإنْ كانت من "كيدهنّ العظيم"- بل ينسب إليهنَّ مباشرةً الكذب لتضليل يسوع حول هويّة الصبيان ومصيرهم، ولكنّه يعلم كلّ شيء.

٢٨٦- "جمع يشوع الصبيان وفرش ثيابهم على الأرض".

*** تتكرّر فكرة يسوع الملك، ويبدو أنّه هو – له المجد– صاحب المبادرة في تتويجه ملِكًا وإجلاله.

*** "فرش ثيابهم على الأرض"؛ يظهر أنّ المقصود هم الصبيان. لماذا "فرَشَ" في المفرد؟ إمّا أنّ هنالك خطأً لغويًّا، وإمّا أنّ النصّ متأثّر بالسريانيّة حيث لا تُلفَظ واو الجمع من الفعل.

"وجلس يشوع على الثياب، وصنعوا له إكليلاً من أزهار كالتاج، ووضعوا على رأسه، ووقفوا بين يديه عن يمينه وعن شماله، وكلّ من يجتاز الطريق يقولون له: "سلّم على الملِك".

*** يقصد الكاتب أن يعيد إلى الربّ يسوع مجده كملك وسيّد، محاكيًا مشهد إكليل الشّوك، مغيّرًا إيّاه إلى إكليل من الأزهار. وبدل إهانة الجنود الرومان للمليك الناصريّ المكلّل بالشوك واللابس ثوبًا أرجوانيًّا من الدرجة الأخيرة، "سلام يا ملك اليهود"، يتولّى الصبيان تكريم يسوع وإحضار الناس إليه ليُجلّوه! أيضًا في رقم ٣٠٧ قال الصبيان لرجُل أحضروه إلى يسوع: "السلَم على ملكنا".

*** "السلَم" من غير ألف، بما أنّ الألف في الآراميّة والعبريّة والسريانيّة وسط الكلمة تُصبح همزة قاطعة.

*** وقوف الصبيان عن يمين يسوع وعن يساره بكلّ وقار وإجلال، يريد أن يعوّض عن ذلّ صلبه بين لصّين، "أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره". ولكن، حتّى على الصليب يبقى يسوع المركز والمحور.

*** وقد يُشير أولئك الصبيان إلى الرسل الكرام بما أنّهم مُلازمون ليسوع ولا يُخالفون له أمرًا ولا يتجاهلون له كلمة (رقم ٢٨٤).

٢٩١- "وجاءت جماعة معهم صبيّ اسمه شمعون لسعته أفعى. حمله أهله إلى الأطبّاء في أورشليم (من غير جدوى). سلّموا على يشوع، وسألهم لماذا يبكون؟ وقالوا لأجل الصبيّ الذي ضربته حيّة. فلّما رآهم يشوع رحمهم".

*** رحمة يشوع وتأثّره مؤثّران وفعّالان!

وقال: "أمّا شمعون هذا فسوف يكون لي تلميذًا، وفي الوقت شفي، وهو شمعون المدعوّ "قينيا" لأجل العشّ الذي ضربته منه الحيّة".

*** إنّه، على ما يبدو، "سمعان الكنعانيّ" (مت ١٠: ٤أ؛ Simwn o Kananaioj). ويظهر أنّ اللفظة اليونانيّة "كانانايوس" تشويه للآراميّة קַנָּאי أو קַנָּאן، أي "الغيور" أو "الوطنيّ" المقاوم بحماسة للاحتلال الرومانيّ. ولكنّ كاتبنا ينسب اللفظة إلى "قنا" (قُنُو) الآراميّة–السريانيّة التي تعني "عُشّ" (קֵן).

٣٠٧- "أحضره الصبيان قايلين (قائلين) له : السلَم على ملكنا"، وربّما المقصود : "ألقِ السلام" أو "سلّم"؛ فلمّا رآه يشوع قال: "إذن تسلم".

*** هل تأثّرت المخطوطات اللاحقة بالعبارة الاسميّة "أسلِم تَسلَم"؟ على كلّ حال، يكفي إلقاء السلام على يسوع والإقرار به ملكًا لكي ينال المرء السلام من "رئيس السلام" الذي هو "السلام" (رج مي ٥: ٥).

"أثناء لعب الصبيان على سطح وقع منهم واحد ومات. واتّفقوا أن يتّهموا يشوع بقتله. وأخذوا معه "والديه"، أي البتول والقدّيس يوسف إلى الوالي.

*** نجد دورًا لوالدَي يسوع كوليَّي أمره، عند اتّهامه، وكأنّ المتّهِمين يلقون عليهما اللّوم في تربيته!

"قال يشوع للحاكم: "إن أنا ناديتُ هذا الميت فقام وأقرّ بأنّي لم أقتله، ماذا تفعل بالذين شهدوا بالكذب؟". قال الحاكم: "حينئذ تكون البريّ وهم الفسقة". فسأل يشوع الصبيّ: "توزا توزا (اسم الصبيّ)، أنا دفعتك ؟".

قام الصبيّ وقال: "ما أنت دفعتَني ولا كنتَ حاضرًا". وسمّى الصبيّ أسماء الذين شهدوا بالكذب. وفرح أهل الصبيّ وقالوا: "حقًّا أنّ الله مع يشوع". وكان ابن اثني عشرة سنة لـمّا عمل هذه الآية.

*** لا يورد النّصّ شيئًا عن عقاب المفترين لتركيزه على براءة يسوع، من جهة، وقدرته على إحياء الموتى، من جهة أخرى.

٣٠٨ ب: "ونيقوديموس، لـمّا نُقِل القول من هيرودس على الأطفال ليُقتَلوا، حملَته أمّه...".

*** النّصّ ناقص هنا. ويتوقّع المرء أنّ أمّ نيقوديموس (الذي سيزور يسوع ليلاً) حملته والدته إلى السيّدة العذراء ونجا من المذبحة. وعبارة "نُقِل القول"، أي الأمر أو الشيء (مقابل العبريّة דבר، أي الشيء والقول، مثل اللفظة اليونانيّة rhma (رج تث ٨: ٣؛ مت ٤: ٤).

٣٠٨ج وتابع – "يكون مدبّرهم، أي أحد زعماء الشعب، فلمّا وقع في مصايد الموت، حزنت له النساء والرّجال أكثر من أمّه، والعالِم بالخفايا عَلِمَ ذلك".

*** العبارة في العهد القديم تُشير إلى الربّ، الإله الواحد الغيور على مجده وألوهيّته (رج مز ٧: ١٠ب؛ ١٣٩ (١٣٨): ١ي وتابع، تأكيد آخر لألوهيّة المسيح التي تؤكّدها الأناجيل في عدّة مناسبات، مثلاً معرفة يسوع لأفكار الفرّيسيّين والكتبة المتّهمين إيّاه بالكفر لأنّه قال للمخلّع: "مغفورة لكَ خطاياك" (مت ٩: ٤)؛ يسوع يَعلم ما في الإنسان وليس بحاجة إلى أن يُطلعه أحد على البشريّات (رج يو ٢: ٢٤–٢٥). وبطرس الرسول جاهر بألوهيّة يسوع وبمعرفته كربّ لكلّ شيء: "يا ربّ، أنت تعلم كلّ شيء، أنت تعلم أنّني أحبّك" (يو ٢١: ١٧)، ولا عجب لأنّ في يسوع "كلّ كنوز الحكمة والعِلم" (كول ٢: ٣).

"ولم يختر إبراه (أي إبراءه) وإشفاه (أي شفاءه) من ألمه، بل آثر أن يظهر فيه إيده (أي : يده) ليُشاهده الناس ويؤمنوا به. ومات ذلك الشّاب...".

*** هذه الرّواية تحاكي، أي تحاول، تقليد السرد الإنجيليّ الكريم عن مرض لعازر، إذ فضّل يسوع أن يتوفّى صديقه، فيُقيمه بدل أن يسبق ويشفيه من مرض، مبيّنًا قدرة أسمى (رج يو ١١: ١ي).

"أقام يشوع الشاب الميت من القبر بقوله : "قم أيّها الشابّ النائم في السرير".

*** محاكاة للسرد الإنجيليّ عن إقامة يسوع لابن أرملة نائين (رج لو ٧: ١١ي)، ولبنت يائيروس (رج مت ٨: ٤٠، ٥٤). يسوع هو إيليّا الجديد الـمُحيي وأعظم من إيليا.

"أقام يشوع (الشابّ) على رِجليه، وأسلمه إلى أمّه، فسجدت له (أي ليشوع). وكافّة أهل بيته لئلاّ يظنّوا ذلك خيالاً قال لهم: "قرّبوا مايدة وخبزًا وكلوا وافرحوا فرحًا شديدًا...".

*** يعتني الربّ مقيم الموتى بصحّتهم، محاكاة لوصيّة يسوع بعد أن أقام الصبيّة بنت يائيروس: "أمرهم أن يُطعموها" (مر ٥: ٤٣).

*** الأكل والشرب والاحتفال: كأنّنا بالكاتب يتمّم حرفيًّا أوامر الأب مشروح الصّدر بعد عودة ابنه الضالّ: "...لنأكل ونتنعّم، لأنّ ابني هذا كان ميتًا فعاش، وكان ضالاً فوُجِد، فأخذوا يتنعّمون" (لو ١٥: ٢٣–٢٤).

*** "لئلاّ يظنّوا ذلك خيالا": استعادة للعبارة الإنجيليّة، عندما طلب يسوع القائم من بين الأموات من تلاميذه طعامًا؛ رج لو ٢٤: ٣٩ي).

" وقال الناس: "ابن مريم مبدّل الأحزان فرحًا".

*** لقب ووصف مؤثّران للربّ يسوع وإعلان لألوهيّته؛ فالله هو القادر أن "يحوّل الندب إلى رقص" (مز ٣٠: ١٢أ)، والمسيح الربّ هو تجسّد الإله الذي يعطي الحياة، وينقل من الموت إلى الحياة، إذ "به كان كلّ شيء،

وبه وفيه الحياة، والحياة نور الناس" (يو ١: ٣–٤).

*** بَعْثُ هذا الميت مثالٌ ملموس –حسب كاتبنا– لمعجزات من يسوع أراها لاثنين من تلاميذ يوحنّا الصّابغ (للحدث الإنجيليّ، رج مت ١١: ٢–٦).

٣٠٩– "رأى يوحنّا ليشوع بعين الروح".

*** الصّيغة آراميّة سريانيّة إذ تسبق "اللام" المفعول به. وفي العربيّة، من أساليب البلاغة تقديم المفعول على الفعل، وتقديم اللام عليه، كقولك: "وللمحزونين يعزّي".

"وقد امتلأت السماوات والأرض من نور وجهه".

*** محاكاة لرؤيا أشعيا لمجد الله ثلاثيّ التقديس: "ملء الأرض مجده". وربّما تأثّر الكاتب بالنصوص الطقسيّة السريانيّة: "هاو دَملِن شمايو وارعو من تشبحوتِه": "الذي من مجده السماء والأرض هما مملوءتان".

"وصار نور هذه الشّمس عند بهاء وجهه كضوّ الكواكب مع ضيآ الشّمس، وأعين البشر لا يستطيع أن تراه".

*** أوصاف مأخوذة من السرد الإنجيليّ للتجلّي السيّديّ (رج مت ١٧: ١–٨)، مع تبيان مشوّق أنّ ضياء يسوع أبهى من نور الشّمس!

*** عدم استطاعة الناس النّظر إلى نور يسوع أو رؤيته استعادة لسرد التوراة عن مجد الله الذي ما قدر موسى كليمه أن ينظر إليه، بحيث أنّ هذه الجزئيّة أيضًا تشير إلى ألوهيّة المسيح: "قال موسى (ليهوه): "أرِني مجدك"؛ قال الربّ: "وجهي لا تستطيع أن تراه، لأنّه لا يراني الإنسان ويحيا" (خر ٣٣: ١٨–٢٠).

"وحينما نزل يشوع ليعتمد، رأى يوحنّا أبواب السماء وقد تفتّحت، والروح قد هبطت كالحمامة، وصوت الآب يقول: "هذا ابني الحبيب إيّاه اصطفيت فاسمعوه"؛ فرعب الحاضرون رعبًا عظيمًا.

باقي السرد مطابق للأناجيل المقدّسة (في طبعة بروفيرا ص ١٢٤ و١٢٦ و١٢٨ و١٣٢ و١٣٤ و١٣٨).

فصل ٤٧: بدل "قانا" نقرأ "قاطنة الجليل".

"وكانت أمّه (مريم) واثقة بقوّة يشوع": تفسير لقول السيّدة العذراء الملكة لابنها :"ليس عندهم خمر".

*** نلحظ عبارة "ابن مريم" (كما في رقم ٣٠٨ج وتابع، و٣١٤) في الجُملة: "(قال السقاة): إنّ هذا الشراب مآ، وغيّره ابن مريم شرابًا. عند ذلك مدح الحاضرون ليشوع".

*** قد يكون هنا تلاعب بالألفاظ في كلمة "شراب"، بما أنّ لفظة "مشتيثا" الآراميّة (משתיתא) تعني أصلاً "الشراب" (من فعل "شته")، ولاحقًا "عُرس، زواج" حيث كان الناس يشربون (الخمر).

*** "مدح الحاضرون ليشوع": صيغة آراميّة سريانيّة تجعل "اللام" تسبق المفعول به.

– فصل ٤٨: تجربة الشيطان ليسوع: تحديد يوم بداية التجارب التي تتوزّع كلّ عشرة أيّام.

* يتحدّى الشيطان يسوع أن يحوّل الحجارة إلى خبز "كما حوّل الماء إلى خمر".

"جاء الشيطان ليجاهد (يشوع) ويقاتله بمحبّة القنايا"، أي الممتلكات والممالك.

* قد يكون هنا تأثير قرآنيّ في فعل "جاهدَ"، ولفظة "المجاهدة"، والمقصود بها "الجهاد".

فصل ٤٩، ٣٨: عدّة صفحات ناقصة من المخطوط، إذ ينتقل النصّ فجأة إلى بيلاطوس الذي يعلن براءة يسوع.

"طيّبَ يوسف جسد المسيح بالمرّ والصبر. أمّا المرّ فهو الذي أهداه إليه المجوس وقت ولادته، وحفظَته مريم العذراء إلى ذلك الوقت".

* سيظهر لاحقًا أنّ الكاتب، عن طريق الخطأ، يقصد القدّيس يوسف مربّي يسوع!

" مضت الكهنة والمعتزِلة إلى فيلاطوس...".

في حين يرى بروفيرا (المرجع نفسه، ص ٣٦) أنّ لفظة "المعتزِلة" أتت بسبب تأثير إسلاميّ، على اسم حركة خرجت من العراق في القرن السّابع الميلاديّ، يمكن أن يرى المرء فيها نقلاً ثقافيًّا ماهرًا لكلمة "فرّيسيّين" التي تعني في الآراميّة "المنفصلين"، פְּרִישׁיָא .

توجز زمرة الكهنة والمعتزلة الاتّهامات المستهدفة يسوع، وهم يخلطون فيها الدينيّ بالسياسيّ استمالة للوالي الرومانيّ. يسوع متّهم أنّه:

١– حلّ ناموس موسى؛

٢– جعل نفسه إلهًا (ولا تعني هاتان التهمتان بيلاطوس)؛

٣– قال إنّه ملك"؛

"فنحن لأجلك وبسببك قتلناه": الاستراتيجيّة مفضوحة: تظهر "أرسطوقراطيّة الهيكل" بمظهر الحريصة على مجد الأمبراطوريّة الرومانيّة.

"الآن يجب أن تقدّم أن يُقام على قبره نواطير".

*** اللفظة آراميّة سريانيّة من فعل נטר، أي حَرَسَ، وقد انتقلت إلى العربيّة الدارجة: ناطور، نواطير.

"ويوسف الذي ربّاه، وعلى يديه نشّأه، قيّده واحبِسه"؛ يحرسه سبعون رجُلاً، وخطّط الجند لقتله لاحقًا.

*** يخلط الكاتب بين القدّيس يوسف النجّار ويوسف الراميّ!

*** "الزنادق" تشويه للفظة "صدوقيّين".

ينقذ يشوع يوسف، وتسقط من يدي (يوسف) القيود. ويقول له يشوع: "إمضِ يا يوسف إلى الرّامة...".

*** هنا يبدو أنّ الكاتب أراد تصحيح الخلط بين يوسف ابن داود ويوسف الراميّ، أو أنّه استمرّ في خلطهما!

وقد يكون هنا استلهام من حدث إنقاذ بطرس من السّجن (رج أع ١٢: ١–١١).

"قال النواطير : هلمّوا نمضي إلى المدينة، فلا فايدة من نظرتنا (نطرتنا) قبرًا فارغا".

*** هنا أيضًا يبدو الأصل أو التأثير الآراميّ السريانيّ، فعل נטר، "نطر"، يعني "حَرَسَ"، وسهل خلط الطاء مع الظاء بحيث تصبح "نظر".

"الّذي نصنا في حفظه ها هو في البستان".

*** قد تكون لفظة "نصنا" مأخوذة من الفعل الآراميّ السريانيّ נסי أي "جرّب"، "حاول": الّذي حاولنا حراسته ها هو في الجنّة...

النسوة، بما فيهنّ السيّدة العذراء، يتوهّمن أنّ يسوع هو الجنّان أي البستانيّ! تعميم لوهم المجدليّة (رج يو ٢٠: ١٥–١٦).

*** يأتي اعتراف بالإيمان من الحرّاس: "إنّ هذا يشوع بن مريم هو المسيح المُرتجى من العوالم" (جمع عالَم).

يزعم أعداء يسوع متّهمين الجنود: "أخذتم رشوة من أتباعه، وأسلمتم إليهم جسده، واتّفقتم معهم على قول واحد: إنّه انبعث حيًّا".

٣١٤– فعلاً، أعطى الكهنة الجنود الرشوة لاحقًا: "قولوا إنّ أتباع يشوع سرقوه ليلاً ونحن نيام. وفَشَت بين اليهود إلى الآن".

"السلّيحون" أي "الرسل"، من الآراميّة السريانيّة، שליחיא.

٣١٥ : الصّعود السيّدي يوم الخميس، وبعده بعشرة أيّام (يوم أحد) العنصرة!

خاتمة

٣١٥ (الفصل الخامس والخمسون): نهاية "قصّة ظهور سيّدنا يشوع المسيح لذِكره السّجود والتّسبيح".

تاريخ النسخ : الرابع عشر من شباط لسنة ألف وست مئة وعشر للإسكندر اليونانيّ.

النّسّاخ : إسحق بن أبي الفرَج بن القسّيس المتطبّب بماردين.

"والله الرحمان الرحيم" (تأثير إسلاميّ؟) قدّوس الله... والتسبيح للربّ يسوع!

مقابلة مع النصوص القرآنيّة

أ – تأثير قرآنيّ على نصّ "إنجيل الطفولة العربيّ"

يورد بروفيرا[٢٣] أمثلة على تأثير – على الأقلّ – غير مباشر من اللغة القرآنيّة على مخطوط اللورنسيانا – لا لشيء إلاّ "بسبب الاستخدام الدارج الشفهيّ أو الكتابيّ للعبارات القرآنيّة" حتّى عند المسيحيّين (كما يحصل في أيّامنا).

١ – عبارة "بسم الله الرحمن الرحيم": مع أنّ بروفيرا[٢٤] يعتقد أنّ "الكتّاب المسيحيّين تبعوا هذه الممارسة الإسلاميّة"، غير أنّ صيغة العبارة نفسها متأثّرة بالآراميّة السريانيّة. مثلاً، "بِسم" تتبع الآراميّة والسريانيّة في صيغة "بْشِمْ" (בשם)، في حين أنّ العربيّة السليمة تحتفظ بالألف (مع همزة الوصل) : "اسم، باسم".

و"الرحمن الرحيم" كلمتان تؤدّيان المعنى ذاته في العربيّة – ويجب صرف النظر عن نظريّة تقول إنّ "الرحمان" كان معبودًا في قسم من شبه الجزيرة العربيّة، و"الرحيم" معبودًا آخر في جزء آخر منها – بما أنّ "رحمانا" أحد ألقاب الله في التلمود، في الآراميّة. ومن ناحية السريانيّة والآراميّة[٢٥]، يعني فعل "رحِم" "أحبّ"[٢٦]، و"رحيم" على وزن "فعيل" هو اسم مفعول يعني "محبوب" – عندها يصبح المعنى "باسم الله المحبّ المحبوب"[٢٧].

١ – "عليه السّلام"[٢٨]، عبارة واردة في سورة يوسف، ولكن في العبريّة (الحديثة على الأقلّ) تعني العبارة "رحمه الله"، وتقال عن الأموات الأبرار.

٢ – "الشّيطان الرّجيم": عبارة وردت في الفصل الخامس عشر من "إنجيل الطفولة العربيّ" (رقم ٧٩). ويجدر أن يلحظ المرء أنّ لفظة "شيطان" ذاتها غير عربيّة، بل معرّبة من العبريّة "سَطَنْ"، أي "المتّهِم"[٢٩]، كما أنّ كلمة "إبليس" يونانيّة الأصل، diaboloj.

٣– "أهل": يرى بروفيرا أنّ الكلمة قرآنيّة كما في عبارة "أهل الكتاب".

٤ – "ضُرَّة" (في الفصل السابع والعشرين، أي رقم ١٧١) مأخوذة من المفردات الإسلاميّة، حسب رأي بروفيرا.

٥ – "إمام" (في الفصل العاشر، أي رقم ٤٩) لفظة إسلاميّة.

٦ – "من كلّ فجّ عميق" (سورة الحجّ ٢٨): وردت العبارة في الفصل الرّابع والأربعين، ١، أي رقم ٣٠٨).

٧ – "سمعًا (سامعا) وطاعة": يقرأ المرء هذه العبارة في الفصل الثامن والثلاثين ١، أي رقم ٢٦٥، مقابلة مع سورة النور ٥٤.

ملحوظة ذات شأن كبير

لا يجد المرء أيًّا من هذه الكلمات ولا العبارات القرآنيّة في مخطوطة "سايكه" ولا في المخطوط الفاتيكانيّ، حيث استبدلت بأخرى[٣٠].

ب – الشَبَه والاختلاف بين "إنجيل الطفولة العربيّ" والنصوص القرآنيّة

١) رقم ٢٤٥–٢٥٠ (الفصل الرابع والثلاثون): كان يشوع

(٢٣) المرجع نفسه، ص ٣٥.
(٢٤) نولديكه، **القرآن**، ص ٥٣.
(٢٥) كوستاز، **قاموس سريانيّ – عربيّ**، ، دار المشرق، بيروت ١٩٩٤، ص ٣٤٣ أ.
(٢٦) لأمثلة أخرى على قراءة عن طريق السريانيّة، مراجعة كتاب كريستوف لوكسنبرغ:
(٢٧) *Die syro-aramäische Lesart des Koran,* Druckerei Weienrt, Berlin 2000.
(٢٨) بروفيرا، المرجع ذاته، ص ٣٥.
(٢٩) F. ZORELL, *Lexicon Hebraicum et Aramaicum Veteris Testamenti,* p. 798 , Pontificium Institutum Biblicum, Roma
(٣٠) بروفيرا، المرجع ذاته، ص ٣٦.

الفتى يصنع تماثيل من طين، منها عصافير ودوابّ، ويأمرها فتحيا وتتحرّك. وكانت العصافير المصنوعة هكذا تطير بأمره.

في سورة المائدة ١١٠: "إذ قال الله : يعيسى ابن مريم أذكر نعمتي[٣٠] عليك وعلى والدتك إذ أيّدتك بروح القُدُس، تُكلّم النّاس في المهد [٣١] وكهلا، وإذ علّمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وإذ تخلُقُ[٣٢] من الطّين كهيئة الطّير **بإذني** فتنفخ فيها فتكون طيرًا **بإذني**...وإذ تُخرِجُ الموتى **بإذني**...".

يعيد النّص القرآنيّ ثلاثًا أنّ "خلق" المسيح للطّير من الطّين وإخراجه للموتى ما تمّ إلاّ بإذن الباري.

والخلاف هنا جوهريّ مع "إنجيل الطّفولة العربيّ" حيث يستنتج الصّبيان: "فأنتَ إذن الخالق".

هنا يأتي السّؤال: أيّ النصّين أقدم، القرآنيّ أم "إنجيل الطفولة العربيّ"؟ إذا سبق نصّ "الإنجيل" المشار إليه، يدرك المرء أنّ القرآنيّ ردّ فعل، وإذا سبق النصّ القرآنيّ، تعمّد كاتب "الإنجيل" تبيان ألوهيّة المسيح. ومهما يكن من أمر الأقدميّة، كلا الموقفين اللاهوتيّين واضح جليّ.

٢) رقم ٢٥٩–٢٦٠ (الفصل السّادس والثّلاثون)

"إنّ يشوع تكلّم وهو في المهد صبيّا؛ وحين كان له سنة واحدة قال لأمّه: يا مريم، أنا يشوع بن الله... وإنّي أرسلني لخلاص العالم".

ورد في سورة مريم (١٩)، ٢٩–٣٦: "فأشارت إليه قالوا : كيف نكلّم من كان في المهد صبيّا، قال: إنّي عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيّا... ذلك عيسى ابن مريم... ما كان لله أن يتّخذ من ولَد... وإنّ الله ربّي وربّكم فاعبدوه، هذا صراط مستقيم".

يرى المرء الاختلاف الجوهريّ ورفض القرآن لمفهوم "ابن الله"، وإصراره على بشريّة "ابن مريم"، وعلى عدم إمكانية اتّخاذ الرحمَن من وَلَد. أمّا "رسالة" المسيح أو "دعوته" هنا فهي توحيديّة يهوديّة [٣٣]. ولا ترد فكرة "المسيح المخلّص" في القرآن، وإن كان بعضهم يرى في لفظة "الفُرقان" المعنى الآراميّ السريانيّ، أي الخلاص، ولكن لا يربط أيّ نصّ قرآنيّ ابن مريم بالفُرقان.

خاتمة

يضيق المقام هنا للتعمّق في موضوعات أخرى، منها أوصاف السيّدة العذراء في "إنجيل الطفولة العربيّ"، وأيضًا موضوع الرسومات الأربعة والخمسين المرافقة للنصّ. في شأن والدة الربّ الدائمة البتوليّة يعبّر عنها "إنجيل الطفولة العربيّ" بعبارات ملؤها الوقار، متجنّبًا تفاصيل أوردها "إنجيل يعقوب التمهيديّ"، مع أنّ كاتب "إنجيل الطفولة" اعتمد على "الإنجيل الأوّل" في عدّة نقاط[٣٤]. ولكنّ اتّباعنا للنّصّ عن كثب جعلنا نطّلع على شِيَم السيّدة العذراء ووجاهتها أي شفاعتها وشفقتها ("رحمتها").

وتبقى مسألة تاريخ المخطوطات مصيريّة، خصوصًا عندما يصعب تمييز أقدم أقسامها من أحدثها. ولكنّ الاتّجاه العامّ والخطوط الرئيسيّة جليّة، وخصوصًا في مجتمعنا العربيّ أو النّاطق بلغة الضّاد. هنالك دور لما يُدعى "إنجيل الطفولة العربيّ" حيث التقارب مع النّصوص القرآنيّة والاختلاف عنها، وهذا الدّور مطلوب لإيجاد جوّ –أو تعزيز بيئة– من "حوار الجوار"، الذي يجب أن يعطي شرقنا الأوسط فيه مثالاً للعالم كلّه وقدوة!

(٣١) في النصوص القرآنيّة يتكلّم الله مع المسيح في صيغة المتكلّم المفرد، لا في صيغة الجمع: "نحن، إنّا، نعمتنا..."، وما إلى ذلك؛ مثلاً: "إنّي متوفّيك ورافعك إليّ"، لا "إنّا متوفّوك ورافعوك إلينا...".

(٣٢) سترد هذه الفكرة والعبارة لاحقًا في "إنجيل الطفولة العربيّ"، رقم ٢٦٠، وفي نصّ قرآنيّ آخر.

(٣٣) المسيح هو الإنسان الوحيد، في النصوص القرآنيّة، الذي يقال فيه إنّه "يخلق"؛ فالخلق من صفات الخالق المميّزة. وورد أيضًا في القرآن، من موافقات عُمَر: "تبارك الله أحسنُ الخالقين" (سورة المؤمنون ١٤)، التي يفسّرها الصحيحان (مُسلم وبخاريّ) في عبارة يقولها تعالى للمصوّرين: "أحيوا ما خلقتم"، ولا يعني "الخلق" هنَا من العدم ،كما يفعل الباري وحده، بل التصرّف والتغيير.

(٣٤) في سورة مريم ، ٢٥ يُذكَر جذع النّخلة ويشبه نصّ "إنجيل متّى المنحول"، في الفصل العشرين.